247 - ـ فصل : من خالط أوذي .

من رزقه ا تعالى العلم و النظر في سير السلف رأى أن هذا العلم ظلمة و جمهور العالم على غير الجادة و المخالطة لهم تضر و لا تنفع .

فالعجب لمن يترخص في المخالطة و هو يعلم أن الطبع لص يسرق من المخالطة .

و إنما ينبغي أن تقع المخالطة للأرفع و الأعلى في العلم و للعمل ليستفاد منه .

فأما مخالطة الدون فإنها تؤذي إلا أن يكون عاميا يقبل من معمله فينبغي أن يخالط بالإحتراز .

و في هذا الزمان إن وقعت المخالطة للعوام فهم ظلمة مستحكمة فإذا ابتلى العالم بمخالطتهم فليشمر ثياب الحذر و لتكن مجالسته إياهم للتذاكرة و التأديب فحسب .

و إن وقعت المخالطة للعلماء فأكثرهم على غير الجادة مقصودهم صورة العلم لا العمل به فلا تكاد ترى من تذاكره أمر الآخرة إنما شغلهم الغيبة و قصد الغلبة و إجتلاب الدنيا .

ثم فيهم من الحسد للنظراء ما لا يوصف و إن وقعت المخالطة للأمراء فذاك تعرض لفساد الدين .

لأنه إن تولى لهم ولاية دنيوية فالظلم من ضروراتها لغلبة العادة عليهم و الإعراض عن الشرع .

و إن كانت ولاية دينية كالقضاء فإنهم يأمرونه بأشياء لا يكاد يمكنه المراجعة فيها و لو راجع لم يقبلوا .

و أكثر القوم يخاف على منصبه فيفعل ما أمر به و إن لم يجبر .

و ربما رأيت في هذا الزمان أقواما يبذلون المال ليكونوا قضاة أو شهودا و مقصودهم الرفعة .

ثم أكثر الشهود يشهد على من لا يعرفه و يقول إنه معروف و يدري أنه كذاب و إنما عرف لأجل حبة يعطاها .

و كم قد وقعت شهادة على غير المشهود عليه و على مكره .

و إن وقعت المخالطة للمتزهدين فأكثرهم على غير الجادة و على خلاف العلم قد جعلوا لأنفسهم نواميس فلا يتنسمون و لا يخرجون إلى سوق و يظهرون التخشع الزائد و كله نفاق .

و فيهم من يلبس الصوف تحت ثيابه و ربما لوح بكمه ليرى و قد حكي عن طاهر بن الحسين أنه قال لبعض المتزهدين : مد كم قدمت العراق ؟ قال دخلتها منذ عشرين سنة و أنا منذ ثلاثين

سنة صائم .

قال : سألناك مسألة فأجبت : عن اثنتين .

و بيت الصوفية أربطة فهي خوارج على المساجد وهي دكاكين كريهة يقعد فيها الكسالى عن الكسب مع القدرة عليه و يتعرضون بالقعود للصدقات و لأحوال الظلمة و قد أراحوا أنفسهم من إعادة العلم .

و أكثرهم لا يصلي نافلة و لا يقوم الليل بل يهمهم المأكول و المشروب و الرقص .

و قد اتخذوا سننا تخالف الشريعة فهم يلبسون المرقع لا من فقر و هذا قبيح لأنه ليس عندهم من أمارات الزهد سوى الملبس الدون فثيابهم تصيح نحن الزهاد و باقي أفعالهم المستورة تفضحهم إذا اطلع عليها .

فالمطبخ دائر و الحمام و الحلوى كثيرة و الطيب و الدعة و الكبر حاصل بذلك الزي .

و قد قال النبي صلى ا عليه و سلم لمالك بن فضيلة و قد رآه أشعث الهيئة [أما لك مال] ؟ قال : بلى من كل المال آتاني ا D ! قال : [فإن ا D إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن ترى عليه] .

و من أخلافهم تنفير الناس عن العلم يزعمون ألا حاجة إلى الوسائط و إنما هو قلب و رب .

و لهم من الأقوال و الأفعال المنكرات ما قد ذكرته في تلبيس إبليس .

آه لو كان للزمان عمر لاحتاج كل يوم إلى مائة درة لا بل كان يستعمل السيف في هؤلاء الخوارج .

و هم داخل البلد لا قدرة للعلماء عليهم إذ قولهم فيهم لا يقبل .

فمن رزقه ا سبحانه النظر في سير السلف و وفقه للإقتداء بهم آثر أن يعتزل عن أكثر الخلق و لا يخالطهم فإنه من خالط أوذي .

و من دارى يسلم من المداهنة فالنصح اليوم مردود